

سنا جريري: تعد لوركا بأقهار سوداء وموت نزق

جهد هديب *

يشعر المرء أنه أكثر ميلاً إلى القصائد القصيرة لسنا جريري، هذه الشاعرة التي لم تصدر ديوانها الأول بعد، من القصائد الأطول في دفتر شعرها. فالرؤية عندما تكون أصلاً للشعر، تبدو في القصائد القصيرة أعمق، ولجهة البناء فإنها محكمة إلى حدٍّ لافتٍ للانتباه، بل وهي مقطرة:

«جدير بالرمل أن يشرب خطانا
كي لا نرتكب الأخطاء ذاتها».

القصائد القصيرة، أيضاً، كما لو أنها ليست تذكراً، وربما ليست قادمة من مخيلة ذاكرة، وتكاد تكون معاينة للعالم على نحو ما. . . لكنها، أيضاً، ليست أفكاراً محضه، بل إن أرضيتها، فكرة تخلق ما بعد القصيدة مخيلة تنور بتفاصيل وحركة يمكن لأي قارئ أن يملأها بتفاصيل من (عندياته) ومن أصل تجربته. . . إذاً، القصيدة القصيرة لدى سنا جريري ليست تجربة، بل قل هي تجربة قرائية أكثر مما هي تجربة معيشة ومخيفة بالمعنى العضوي:

«حين نصادف الوجد
جالساً

إلى طاولة لا نتوقعها

نترك الجسد المحلى

بالحمى

ونغادر».

هنا لا يعرف المرء. . . هل هذا الحس (الرامبوي) بمعنى ما، هو صنيع التجسيد الحسي للوجد في هيئة مبهمة لشخص ينتظر؟ مثلما أن رامبو شاعر قد أجلس الجمال على ركبتيه هو ذات قصيدة. . . ربما، لكن الأرجح أن سنا جريري في نزعته هذه أكثر قرباً إلى طبيعة إحساسها الأنثوي بالأشياء الجامدة والحية المتعينة حولها في العالم.

وربما أنها هنا على وجه التحديد، قد أمسكت بطرف الخيط كي يفضي بها إلى نتيجة ما في أن تحتل كل هذه الوحشة من العالم، ومن فكرة العيش، فتنتهي إلى سلاله ملعونة، رغم وجودها العابر تتمسك بالعارض والذي قيد أن يتلاشى، كي تطل على جوهر الحياة فتدرك الخواء في الزمن، وتتحنس بأصابعها فكرة الرحيل فيما تحيا حال عراك مع الساكن والثابت. . .

في زفير صحراوي يتصاعدُ
نحو سماءٍ شاخت .

3- على شرف القابلة
دشنوا مرثاته
دفنوه بخيمة .

4- لست وحدك
جتتك إلى جوارك .

هواجس

1- مساءً ،
خرجت المرأة من مصباح .
التفتت
لم تجد رجلاً يريدُها .
خارج المصباح
قتلتها الرغبة .

2- مساءً ،
يمرُّ النَّاسُكُ على قَمَرِ بلونِ الدَّمِ
يَحْمَلُ عَصَاهُ ،
يَضْرِبُ الصَّمْتَ
فينشق .

3- مساءً ،
رفعتُ أشْرَعَةَ القَصِيدَةِ ،
واصطدتُ سُمْكَةً عَظِيمَةً
مشوهةً - ناقصةً :
الحقيقة .

أنتيَاء

1- مَنْ مِنْكَنَّ أَيْتَهَا الصَّدَائِقَاتُ
تتمشى الآن على قبوري

إنها سلالة الشعراء .
في قصائدها الأخرى الأكثر طولاً يشعر المرء أنها ناجحة
تماماً . . وربما لا قساوة إن قيل إنها لا تحتوي سوى على
التماعات شعرية جاذبة . . فالشعر يتكئ على التوصيف
والمضام والمضام والمضام إليه في إثر حرف جر . . إنه التساهل في
صنع القصيدة ، بل هو التساهل في توضيب أشياء القصيدة
وتأثيرها ، دون أن ينفي ذلك تفسير «جريري» لهذه المسألة
بأنها أحياناً لا تثق تماماً برسوخ كلمة فتدعمها بأخرى .
والحال أن المسألة ربما ليست أكثر من الحاجة في مراكمة الخبرة
في الصنيع الشعري :

«المرأة المخضرة بالعشق الكسول
تجلس

في دم اللحظات
وتخربش في دفترها المكتظ بالصمت
كلمات غجرية» .

فهذه القصيدة التي تحمل عنوان «إلهة التعب» لا تفرغ من
صور جاذبة من جهة مستواها الشعري :
« . . توزع نحيبها على الجوعى
تفرغُ جيوبَ لوركا
من الطيش والأقمار السوداء والموت الترق . . » .

سواء جريري مقبلة للإقامة في أرض اللغة . . في أرض
التعب . . ما يلي قصائد لها منتخبة من دفتر أشعارها كما
هي ، بل تم ترتيبها دون أي اعتبار لتاريخ كتابتها ، إذ إنها
جميعاً تعود إلى هذا العام والذي سبقه .

الرحلة

1- البابُ وصريره
فاتحة المراثي
والسفر .

2- في الجيب يدُ تفلي الرغيف
(من أرض جنين إلى يعبد)

وَتَشْتَمُّ سَوْسَنَةً زَرَعْتُهَا
على مقربة
من التَّعَبِ؟

2- حين

عَبَّرْتُ جِيوشُ خَائِبَةٌ
في دمي
وصاحتُ دَيْكَةً على سَرِيرِ الوطنِ المقهورِ
هَطَلُ فَرَّاشٍ
وَإِخْتِنَقْنَا بدوارِ
اللُّغَةِ
والتَّرَاكيبِ .
في أيِّ الطَّرِقِ
تنشرُ حكايةَ الصَّمْتِ هذه؟

عاشقة

فوضى رصاص
يمرُّ على أحلامنا الصَّافِيَةِ .
لم تخترني الطَّرِقاتُ لأغدو
عَرَّابَهَا .

لكنني
أزورُ الخَطِيَّ لَيْلَةَ الأَحدِ
أوشوشُ عاشقينِ
أني هناك
وفي جيبِي
هواءُ نقيٍّ من العيونِ المثرثرة .
أنا
من سلالةِ الواقفينِ على طللِ
رفعَ رجليه المملطختين بالرمَّادِ ،
بَرَزْتُ من بين شفتيه الأَثافيِ
نكايةً بالوجع .

أنا
ابنةُ شرعيةٍ للقبيلةِ
والهزيمةِ
ألمُ الخَطاياِ
تلك التي
لم أرتكبها .
وأنا
خبأتُ العاشقينِ في حقيبتِي
خوفاً عليهما
من الصحفِ
وأخبارِ السَّاعةِ الثامنةِ .

كأني مررتُ هنا
منذ زمنِ
حين فرَّتْ من النَّافذةِ
حمامةٌ بلا طوقِ
وثرثرَ سربٌ من النَّمْلِ .
كأني ارتديتُ أشجارَ الدَّارةِ
جميعاً
وحلَّتْ إلهةٌ غامضةٌ في دمي
ووقفتُ ببابِ بيتي
عاشقةٌ .

سلالة الواقفين على طلل

أنا . .

من عجينةِ المتعنينِ
يغضون طرفاً عن الرَّماديِ
كي لا
تصيرَ حجراتُ الكائناتِ

* شاعرٌ وصحافيٌّ فلسطينيٌ يقيم في عمَّانِ .